

أحاديث عن جنوب الجزيرة

الاستاذ طه أحمد السنوسي

برهوت :

ذكر الامام ابو محمد عيسى الأندلسي في كتابه عيون الأخبار حكاية كان من بينها هذه العبارة : « ولكن سر إلى اليمين إلى واد في عدن يقال له (برهوت) وفيه بئر ... ويقول ابو محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي نحرمة في مؤتلف الجزء الأول من تاريخ نثر عدن بمد أن أورد حكاية الامام أبي محمد عيسى الأندلسي :

(كذا نقله عنه القاضي محمد بن عبد السلام النابلسي في كتابه الوسوم بوجوب دار السلام في صلة والدين والأرحام ، والتهود أن برهوت واد بمحضرموت ، وأن أرواح الفجار تأوى في بئر برهوت ، فإن صح ما ذكره الأندلسي أنها بطن ، فله السبب في اختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر اهـ .

الذين انحطوا في مدارس للشك لكل واحدة لونها وصفتها ، وإن كانوا يسمون *les Zététiques* كأنهم كانوا رواد الحقيقة ، فلما حاولوها ولم ينالوها سمو *les Sceptique* ولما تحيروا وترقبوا حيالها سمو *les Ephectiques* ، فملقوا أحكامهم ، فسموا *les Aporétiques* لأنهم لم يطمئنون إلى وجود الحقيقة التي أشككت عليهم .

وكان أركاسيلاس وكاريناد أشهر المدرسة الاحتمالية ، وكان أنصيدام وأغريبا أشهر المدرسة الجدلية ، ثم جاءت أخيرا المدرسة التجريبية التي اشتهر فيها مينودوت وسكستوس من الأطباء الشكك أو الشكاك الأطباء الذين كانوا حربا على الفلاسفة والمناطقة ونفاذقة ورجال الأخلاق وانتهوا إلى مذهبهم التجريبي في الشك الذي يقضى بالخضوع لتكاليف الطبيعة والرضوخ لقوانين الوطن وعوائده ومزاولة بعض الفنون ، واتباع ما تأتي به الظواهر .

محمد محمود زينب

عليه الصلوات قال « أنا أول بالشك من ابراهيم » ونحن السنا أول بالشك من الأنبياء ؟ . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تسئلون عن خلق الله ، فقولوا : إن الله خالق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء . وإذن فلانفاق بين الشك والدين ، كما لا تنافي بين الشك واليقين ، لأن اليقين لا يزال بالشك كما يقول المسكوي .

ومن فلاسفة الاسلام من اتخذ الشك المنهجى عكازا إلى نور اليقين وزعيمهم نغر الرازي ، فقد كان أستاذا المرحوم (كراوس) المستشرق الألماني يعتبره زعيم المتشككين في الإسلام . وقد اصطنع المنهج الشكي أو الشك المنهجى حجة الاسلام أبو حامد التزالي كما هو واضح في كتابه أو اعترافه « المنقذ من الضلال » . وعند الواقفية من الجهمية مسحة من الشك في تعاليمهم لاتصال جهنم بن صفوان بالشكك المنود ، وسميت بالواقفية لأنها لم تقل بأن القرآن مخلوق أو ليس .

وكان التزالي يعمل للمامة اعتبارا فوضع « إلهام العوام عن علم الكلام » وكتب السيوطي « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » وما أكثر تأمر الجبل والجود على العلم والحريه ، فقد اتخذ ديكارت منهجا للشك بنية الوصول إلى الحقيقة والكشف عن القوانين العامة للمعوم وثار على خزعات الشايع *le doctes* أو هيئة كبار العلماء في عصره . وكانت ثورته الفكرية قوامها هدم احتكار العلم فاتتح « المقال من المنهج » بقوله « العقل أكثر الأشياء توزعا بين الناس بالعدل » وإذ خشى انتقاض البناء الرسمي عليه قال « من أحسن المربوب عاش سعيدا » وكان لقواعد منهجه في الشك أبعد الأثر في توجيه الفكر الإنساني إلى أبعد الغايات ، وتأيمه (كانت Kant) الذي نقد العقل ، ويكون (P Bacon) الذي هدم « أسنام العقل » ليبني على أنقاضها منهجا جديدا للتفكير والبحث في العلوم . وكذلك (بيل Bayle) و (مونتني Montagne) و (هيوم Hume) وغيرهم من الشكك المحدثين والأندلسيين .

هذا هو نفوذ المذهب الفيروني في كل ماجد من بعده من أفكار حصرناها على نطاق وانسم جدا يضيق المقام هنا عن ذكر تفصيله وتاريخه . أما آثر فيرون فقد كان مباشرا في تلاميذه

طول ساحل الخليج الفارسي ، وكذا عدن ومحمية عدن مشتملة
حضر موت ومسقط وعمان ومشايخه قطر والكويت وإمارة
البحرين تحت الادارة البريطانية .

محمـد :

وتقع شبه جزيرة عدن على الساحل العربي قرابة مائة ميل
شرق باب المندب ، وكانت عدن مضافة كامتلكة بريطانية في
عام ١٩٣٩ ، وكانت سابقا محكومة من الهند ، بيد أنها أصبحت
مستعمرة بريطانية في ابريل ١٩٣٧ ، وهي تحكم الدخول الجنوبي
للبحر الأحمر ، وتمتلك أهمية استراتيجية عظيمة ، فهي كائنة كجبل
طارق للبحر الأحمر ، وقد ساهم دخل قناة السويس بعدن إلى مركز
ذو أهمية تجارية ، وهو يخرج قيم للتجارة مع بلاد العرب والبلاد
القريبة ، وهو أيضا يشمل جزيرة بريم ومحمية عدن مقسمة إلى
قسمين : محمية عدن الغربية ومحمية عدن الشرقية ، والأولى تحتوى
على تسعة عشرة سلطنة ، وسلطان الحج رئيس المحمية الأول ، وتشمل
محمية عدن الشرقية حضرموت (محتوية دولة القميطى لشهرا
والسكلا ودولة الكثيرى لسيام) وسلطنة مهرة لكش وسوكترا
وسلطانات الواهيدى لبرعلى وبالهاف ومشيخات أركاوهورا ..
وسلطان شهر والسكلا هورئيس محمية عدن الشرقية ، وحضرموت
هى الأكثر أهمية والأحسن نظاما لهذه المساحات ، وحددت
حضرموت من الشرق بسلطنة المهرة ومن الغرب بسلطانات
الواهيدى . .

ومن الاتصال الطارف بالعالم الخارجى والتضارعات الحديثة
ما هو داخل فى هذا البلد الصحراوى ، وكل هذه السلطنات تقع
فى محمية معاهدة الصداقة مع الحكومة الانجليزية ، وتحت إدارة
المستوطنين الانجليز أو الحكام - كما فى عدن -

ولحنا نلم فيما نلم هذا التقسيم الذى وضعه الدكتور المؤلف
اعدن شرقية وغربية ، وهل الانكلز فى نظره قد اتخذوا جنوب
الجزيرة محمية واحدة أطلقوا عليها محمية عدن ، ثم قسموها قسمين :
الشرقية والغربية ؟ وهل يجوز أن نسمى أسماء حضرموت ولحج
وغيرها لنضع فوقها اسم عدن ، ما دام الانجليز يحتلون عدن
الصغيرة .

... ومن هذا نفهم أن ابن أبى مخزومة قد بنى استنتاجه
باختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر على كلام
الأندلسى من أن برهوت راد فى عدن ، وهو كلام واه لا يستند
إلى حقيقة ، وإن أبى مخزومة نفسه يعلم أن برهوت واد بحضرموت ،
ويقول إن ذلك مشهور ، ولكنه يريد أن يتلصق - بيلا لتعطيل علة
اختصاص عدن بخروج النار ، فيستوقف ما ذكره الأندلسى ،
ويتلصق منه علة واهية متداعية الأركان ...

أما الأوروبي فيقول فى كتابه (عجائب المحفوظات) إن بر
برهوت على مقربة من حضر موت ...

أما الذى أريد أن أقوله هو أن برهوت فى حضرموت على
مقربة من قبر سيدنا هود عليه السلام ، وهو كهف من الجير ،
وقد قامت منذ قديم الزمان شتى العقائد والمخالفات حول هذا
الكهف ، وقد صدقتها المؤرخون العرب ، كما أخذها عنهم الكتاب
الفرييون دون تمييز أو تحقيق ...

وقد حقق صاحب كتاب (حضرموت) وهما درميان
ووزمان البحث فى بر برهوت ذلك ، وعلا الروايع الخبيثة
التي تنبثق منه بأنها ناشئة عن تبول الخفاش الذى يقطن
هذا البر ، ثم عن التحلل الصخرى فيه ، وكانت هذه الروايع
الكريهة مصدر اعتماد بأنها نذر بموت الكفار ، بل إن البر
نفسها فى المتقدات القديمة مستكن أرواح الكفار ، وأرهب
نقطة على سطح النبراء ...

جنوب شبه الجزيرة فى كتاب « الاسلام فى العالم » :

وقد اطلعت منذ أمد ليس ببعيد ، على كتاب بالانجليزية
للدكتور زكى على تحت عنوان (الاسلام فى العالم) وقد توقفت
تجاه ما كتبه الدكتور الفاضل عن جنوب الجزيرة العربية فى
فصل (تحرير الإسلام) فرائته يقول ماتمريه :

بلاد العرب الانجليزية :

بالرغم من أن اسم بلاد العرب الانجليزية لم يظهر رسميا فى
أطلس جغرافى ، فإنها توجد فى الحقيقة وتغطى أقاليم عربية كبيرة
وهامة على الساحل الجنوبى لبلاد العرب وتمتد البحر الأحمر وعلى

ويرى الدكتور زكي على أن محمية عدن (الغربية) تحتوي على تسع عشرة سلطنة ، ونحن نعلم أن سلطنات جنوب الجزيرة عشرة سلطنات ، فلو زدنا - على رأى الدكتور - عدد سلطنات محمية عدن (الشرقية) ، فنظن أن المجموع سيكون أربعين أو خمسين سلطنة .

وبعد ذلك أقول إن ما ذكرته من كلام صاحب (الاسلام في العالم) قول أدع لأهل الجنوب ليعروا فيه رأيهم ...

فقرئت ههنا :

... يقول الشيخ أبو خزيمة : (اعلم أن عدن بلدة قديمة يقال أن قابيل لما قتل أخاه هابيل خاف من أبيه آدم ، ففر من أرض الهند إلى عدن وأقام هو وأهله بجبل صيره ، وأنه لما استوحش بمنارقة الوطن وغيره ، تبدى له إبليس ومعه شئ من آلات اللهو كالزأمر ونحوها ، فكان يسليه باستعمالها ، فهو أول من استعمل ذلك على ما قيل) ... وإن كان إبليس أول من استعمل آلات اللهو في عدن ، فكان من الحق أن نسير في أيامنا هذى آلات شر وشؤم لا آلات فن بديع ، وعلى حد قول أبي مخزومة ليس من الضروري أن نثبت أن إبليس هو أول من استعمل تلك الآلات وهو الذى كان يلهى قابيل (لما قتل أخاه هابيل وخاف من أبيه آدم) .

والذى نريد أن نقوله إن عدن هذه التى كان لها التاريخ الطويل القديم ، قد بدأت اليوم نهضتها نابضة حية وستجولها الأيام عن قريب في ثوب قشيب من الحضارة والدنية والرقى

ولقد سمعت بكلمات الأستاذ الفاضل أنور المداوى عن نهضة عدن حيث قال في إحدى تقييدها بالرسالة الزاهرة : (الله يشهد أننى سميت بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائدة من رثبات الشباب العربى في جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ، لأننى أؤمن كل الايمان بأن النهضة الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى) ..

ويعتاز الشباب المدنى بالوعى العربى والشمور الصميم ، ويفصل أحد الشبان المدنيين المخلصين ما صنموه باليهود بمناسبة

فلسطين ، فيبث إلى ويقول : (وهاك بعض مناظر لمنازل اليهود المحروقة التى دمرناها هى وساكبتها مع أننا لا نملك سلاحا ؛ لأن السلاح فى مستعمراتنا ممنوع ، وإذا اكتشف أحد من الشرطة أن لدى أحدنا مدسأ يأخذه مباشرة ليقتل فى السجن بعض السنين ، وعندما نشبت الحرب فى فلسطين ، أضر بنا وكان ذلك

فى يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقدنا بمظاهرات إلى حارة اليهود - عليهم اللعنة - وعندما شاهدنا فى هذه المظاهرة أعلموا منازلهم وجلسوا فى منافذها مستمدين للقتال ، مع أنه من المسموح لهم أن يحملوا السلاح ، ونحن المدنيين ليس لدينا سوى عصيان الكشافة ، وعندما ظهرنا فى أول سكة من سكك اليهود وهى بالقرب من سكة شركة الطيران رميت القوارير فوق رؤوسنا ، وأصيب منا اثنان ، وعلى هذا دارت الدائرة عليهم ، وأخذنا كمية من البترول وأحرقنا جميع سياراتهم الفخمة ، وكان ذلك بالمساء ، أما فى الصباح فقد خرجنا أيضا فى مظاهرات أخرى وقد خرج إلينا الجنود البريطانيون بأسلحتهم ومصفحاتهم على أهبة الاستعداد لتدميرنا ، فلم نبال بشئ من هذا كله ومضينا وعندما مررنا بسكة من سكك اليهود لاحظنا الجنود الانجليز ، ولكن يهوديا من فوق نافذته أخذ غدارته أطلق ثلاث رصاصات على ضابط بريطانى . فقتل عليه ، ومن ثم سمح الانجليز لنا بالهجوم ، وكان النصر حليف المدنيين تلك الالة المربية الموقفة ...)

المحبات على لسانه الجفري :

أسدل ستار من التوبة والخطأ على (المحميات) وتسميتها ووجودها ، لذا رأيت أن أورد فى هذه الأحاديث نص ما ذكره السيد الجفري مستشار عظمة سلطان لحج عنها فى مذكرة سلطنة لحج التى قدمت إلى الوزارة المصرية فى ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨ : (تقع مملكة اليمن فى الركن الجنوبي من جزيرة العرب ، وإلى الجنوب منها تقع محمية عدن ، وسلطنة لحج وسلطنة حضرموت إلى إمارات أخرى اشتهرت على السنة بعض الكتاب منذ عهد غير بعيد باسم (المحميات) وهى تسمية لا تعابق الوضع السياسى الصحيح لتلك البلاد التى يتمتع كثير منها بنوع من الاستقلال والحرية .